ثورة ٢٥ يناير أبرزت الحاجة لوجود فراغات عمرانية

ميدان التحرير .. ملهم المصريين

البداية من التحرير: هايد بارك .. لكل المصريين

سيظل ميدان التحرير ملهما للكثير من المصريين من خلال أحداث وقضايا وموضوعات سوف تمتد فعالياتها لسنوات طويلة. فالميدان فى ثورة يناير كان الفضاء والحيز العام الذى استوعب كل فئات الشعب بآرائهم وأفكارهم المختلفة، بل يرى البعض أن ماحدث فيه كان بمثابة ثورة على حرمان كل الأنظمة السياسية للمصريين من هذا الفراغ العام فى القاهرة وكل مدن مصر كافة. فمنذ عام ١٩٥٢ حتى الآن .. قامت هذه الأنظمة بوأد معظم الحدائق والأماكن والمتنزهات العامة ولم تترك لساكنى المدن - المتعبين من الضوضاء والزحام والتلوث - فرصة للترفيه عن أنفسهم وتهدئة أعصابهم الملتهبة. وقد جاء الوقت لإحياء مفهوم الفراغ والفضاء العام فى كل مدينة مصرية وتوفير هايد بارك به لاحتواء مشاكل المواطنين فى أجواء صحية وسلمية.

اختيار ميدان التحرير لخروج المصريين على النظام، جاء من فكرة أنه أكبر ميدان عام فى مصر بل وأشهرها على الإطلاق فهو سرة البلد .. كما تقول الدكتور هدى زكريا أستاذة الاجتماع السياسى بجامعة الزقازيق مضيفة أن المكان فى نفس الوقت كان من المتوقع أن يكون تحت سمع وبصر الإعلام المحلى والغربى. كما أن أى مصرى عندما كان يرتكب جريمة شنعاء، تأتى سيرة ميدان التحرير على ألسنة الناس بأنه يستحق الإعدام فيه حتى يراه الكل ويفضح أمام الملأ بينما مفهوم المجال أو الحيز العام غير واضح فى أذهان المصريين كما تقول الدكتورة هدى زكريا لكنهم بالفطرة يدركونه فنجدهم يرفضون وضع إعلانات فى المجال العام لأن فى هذا اعتداء عليه.

وقد اكتشفوا أنه ملك للجميع فى أوروبا ولذلك لاينبغى لفئة أن تستغله لصالحها ولكن تخرج فيه كل فئات الشعب وهذا مايفعله المصريون، فلم نجد فئة واحدة تتظاهر فيه ولكن يقفون أمام مجلس الوزراء أو ماسبيرو أو نقابة الصحفيين أو غيرها، لأن ميدان التحرير مجال عام للوطن كله، فمثلا لانجد الأقباط يتظاهرون فيه لوحدهم.

فالمدن المصرية من مدة طويلة تم الاعتداء الصارخ عليها .. كما تعرب الدكتورة هدى زكريا مؤكدة أنه حدث فى فترة التوحش السياسى من قبل مبارك وأعوانه الأقوياء، العدوان الساخر على كل ماهو مجال جغرافى عام كان ملكا للشعب، فقد كان شاطىء النيل حرا تماما بحيث أن الناس البسطاء والغلابة كان يمكنهم المشى على الكورنيش، لكن بعد ماجرى أصبحنا لا نستطيع رؤية النيل إلا من أماكن محدودة وتضج بالضوضاء والزحام وذلك بعد أن أقاموا النوادى والفنادق عليه مباشرة. وفى القاهرة قديما كانت حدائق الأندلس والزهرية والحرية أماكن مفتوحة وجميلة، تعيد للإنسان آدميته وهويته مما أضفى على المصريين فى ذلك الوقت الكثير من الهدوء والسكينة وقلل من حدوث الجرائم.

وراجعت الدكتورة هدى زكريا سلوك المصريين العدائى فيما بينهم إلى هجوم كل الأقوياء والرأسمالية على المجال العام الذى اعتبروه «نهيبة» بعد إعلانهم ملكيته وأصبح يتردد عليه فئة قادرة أيضا.

والمصريون قديما كانوا لايذهبون إلى الحدائق العامة والمطاعم إلا فيما ندر وكانت معظم اللقاءات لاتتم إلا فى البيوت كما تؤكد الدكتورة هدى زكريا لكن حاليا المجال الخاص أصبح ضيقا بعد أن امتلأت المقاهى والكافيهات بالمصريين والسبب أن العائلات لم تستطع أن تلتقى داخل البيوت نظرا لتناثرهم فى أماكن بعيدة عن بعضهم البعض، فأصبح من المستحيل القيام بالزيارات الأسرية بسبب صعوبة التنقل والمواصلات وبالتالى كل من المجال العام والخاص أصبح ضيقا. لذلك نحن فى أشد الحاجة للمجال العام بعد أن ضاق أيضا المجال الخاص.

الحيز أو الفضاء العام ملك الشعب، نجلس فيه على دكة خشب تحت شجرة من غير أن نكون مجبرين على شراء مأكولات أو مشروبات أو تأجير كرسى.. كما يقول الدكتور خالد فهمى أستاذ التاريخ بالجامعة الأمريكية مضيفا أنه مكان لالتقاط الأنفاس من العمل ونتفرج على بعضنا البعض ونتهامس دون أى رادع وبوليس يمنع التجمعات.

لافتا إلى أن ماحدث فى ميدان التحرير ثورة على السياسة التى اتبعتها كل الأنظمة منذ عام ١٩٥٢ حتى الآن وأدت إلى قتل الحيز العام وجعلته ملكية خاصة بعد أن أحاطوه بسياج حديدى فخم لمنع الناس من دخوله وزرعوا النخيل حتى لا يستظلوا تحته!

بل واستبدلوا الحيز العام كما يوضح الدكتور خالد فهمى بالمول التجارى وهو فكرة وافدة من دول الخليج على حضارتنا وثقافتنا، فهم أقاموه لأغراض سياسية وطقسية، فهو مكان مكيف الهواء وغير مفتوح وتجارى وبالتالى استبعدوا الناس من الاقتراب والتهامس.

وفى مصر أصبح الميدان العام نافرا وطاردا للجماهير فهو مخصص لسير السيارات وليس المشاة. وحين قامت ثورة ٢٥ يناير فقد ثارت على هذه السياسة الخاصة بالميدان وخلقت حيزا عاما جديدا، بهذا المعنى نحتاج إلى حوار عن السياسة العامة عندنا .. فالمدن ملك لمن؟ ومن لهم حق المشاركة فى وضع سياسة تخطيط المدينة؟

فمن حق كل واحد منا أن يحلم بشكل مدينته وأن يشعر بأنها ملكه ويمشى فيها دون أن يوقفه أحد ويستجوبه وقبل كل ذلك يجلس فى أى مكان يلتقط أنفاسه فى استراحة العمل ويلتقى بصديق يتحاور معه.

فلابد من توافر ساحات عامة فى القرى والمدن للتلاقى والكلام ورؤية آخرين مختلفين فى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية.

حتى لو لم يحدث حوار وكان الأمر مجرد وجود أغراب اشتركوا فى نفس الحدث مع أنهم مختلفون عرقيا وثقافيا وهذا شعور لا يقدر.

الفراغ العمرانى عنصر أساسى فى التخطيط من أيام الإغريق، ونجده فى فراغ السوق الذى كانوا يعبرون فيه عن آرائهم السياسية وكان ذلك أساس الديمقراطية.. كما يقول الدكتور محمد شريف عباس الرئيس التنفيذى لمركز الدراسات العمرانية والتخطيطية ولكن نحن للأسف الشديد غابت من عندنا الحدائق والمتنزهات والتخطيط السليم، فليس لدينا فراغات عمرانية ولكن ميادين لسير السيارات.. وللعلم أول ما تظهر العشوائيات فى المدن تختفى هذه الفراغات التى يتطلب وجودها نظام عمرانى العشوائيات تتم خارج إطاره. وفى الرؤية المستقبلية لمصر لابد لكل مواطن أن يكون له ٢٠م٢ فى الفراغ العمرانى داخل المدينة.

أما المدن القائمة فأدوات القانون تتيح تحسين المناطق السكنية بها من خلال إقامة حدائق عامة ومساحات خضراء مثلها مثل الصيانة والنظافة فهى ضمن الأدوات المعيشية بهذه المدن.

إذا ظهرت العشوائيات اختفى الفراغ العمرانى من المدن

نحن نتعامل مع الحدائق العامة بمنطق لامثيل له فى العالم

ويقول الدكتور أحمد راشد أستاذ العمارة بالجامعة البريطانية إنه فى كل مكان فى العالم عند تصميم المدن وبالذات عواصم البلاد .. يجب توفير مساحات خضراء مفتوحة حولها بحيرات ونافورات مثل إنجلترا بها ٧بارك وأمريكا حيث يحتفل الشعب بعيد الاستقلال ويطلقون الألعاب النارية فيها ويوم الأحد دائما ما يكون هناك (ماراثون).. المهم أن تكون هذه الحدائق ملك للجميع وفى البلاد العربية هناك حدائق لها أسوار وبها نوع من التحكم ويعطون لها تصنيفات (للرجال أو النساء أو الأسر).. لكن فى مصر.. نحن دائما مع أى حديقة نبنى لها سورا ونحدد قيمة تذكرة بدعوى أن الناس سوف يبهدلونها.

أى أننا نتعامل معها بمنطق غير موجود فى العالم.. فمثلا حديقة الأزهر أنشئت كرئة خضراء ومتنفس لأهالى.. المنطقة المحيطة بها ولكن مع تذكرتها الغالية أصبحوا محرومين منها وبالتالى تحولت من حديقة عامة إلى حديقة خاصة!

كما أن القائمين على الحدائق عندنا يتعاملون مع النخيل والأشجار بها على أنها (عهدة) يجب الحفاظ عليها وليست ملكية عامة يمكن تناولها، فالمصرى بنى آدم له حقوق وعليه واجبات وقد تكون الطبيعة فى مصر تميل إلى الفراغ الصحراوى أكثر من المناطق الخضراء التى تهوى لها الطبيعة الإنسانية وفى بعض المدن الجديدة هناك مساحات تسمح بذلك.. لكن فى الدول المتحضرة جزء من المنظومة العمرانية يساعد على الارتقاء بالمواطن من خلال تحديد حقوق مدفوعة له ضمنيا وتتعامل معه على أنه سدد ثمنها مقدما، فتوفر لها الحدائق العامة.

ثورة ٢٥يناير.. أبرزت الحاجة إلى وجود فراغات عمرانية ومساحات واسعة يمكن الاستفادة منها فى إقامة النشاط الثقافى أو السياسى للمجتمع بحيث تستوعب أعدادا غفيرة من المواطنين وتستخدم أساسا للترفيه وكمناطق خضراء ولكن فى المناسبات الخاصة أو السياسية يمكن إعادة توظيفها لممارسة أى نشاط وما يشهده من مناقشات وحوارات ومظاهرات واعتصامات ووقفات احتجاجية.. كما يقترح الدكتور محمد عبدالباقى أستاذ التخطيط العمرانى بهندسة عين شمس ورئيس مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية.

مؤكدا أن ما شهدته الثورة من انفتاح أفراد المجتمع على إبداء الرأى والمشاركة فى الحياة السياسية والاستفادة من فراغ ميدان التحرير كمتنفس للثوار إلا أنه غير مؤهل عمرانيا ومعماريا لاستيعاب تلك الأنماط من التظاهرات والتجمعات الشعبية حيث إنه فى الأساس تم تخطيطه كميدان للحركة المرورية.

لذلك فإن الأمر يتطلب من المخططين المعماريين وكذلك من أجهزة التخطيط العمرانى والمحافظات العمل على استحداث وإيجاد فراغات عامة فى التجمعات العمرانية الجديدة يمكن استغلالها فى النشاط السياسى وإبداء الرأى بالإضافة لكونها فى الأصل حدائق ومتنزهات عامة يمكن الاستفادة منها على مدار العام.

كما أن هناك أماكن تصلح لإعادة تأهيلها وتطويرها مثل حدائق الأزهر والأزبكية والطفل فى مدينة نصر وكذلك الحديقة الدولية.. والاستحداث كما يراه الدكتور محمد عبدالباقى يشتمل على إيجاد ساحات تستوعب أعدادا غفيرة من المشاركين فى الأحداث السياسية وبالإضافة إلى ما يشبه مركزا للمؤتمرات والاجتماعات، على أن يكون مجهزا بالوسائل السمعية والبصرية المناسبة لتلك الفعاليات ويتاح للجهات الراغبة فى تأجيره، إلى جانب عمل ما يشبه المسرح المكشوف فى الهواء الطلق مع وجود مدرجات للمشاهدين والمشاركين.

ولا يخفى علينا أيضا أهمية وجود وحدات إدارية وأمنية لحسن وسرعة السيطرة على الأحداث إذا كان هناك تجاوز من المشاركين يخل بالأمن العام.

وهناك فراغات صحراوية يمكن أن تكون حدائق عامة ويفضل أن تكون قريبة من التجمعات العمرانية وشبكات الطرق والنقل والمواصلات وهناك أراض مرشحة لذلك على بداية محور القاهرة/ السويس والقاهرة/ حلوان و١٥مايو.. ولتعظيم العملية السياسية وثقافة إبداء الرأى يؤمل أن تنتشر تلك الساحات العامة على مستوى عواصم محافظات مصر.

عفاف الدهشان

د. محمد عبدالباقى

د. محمد شريف عباس

د. أحمد راشد

النظام السابق ورجاله وراء ضياع المجال العام فى مصر